بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد..

الحديث في يومنا هذا أو في هذا المدخل لعلم العقيدة حول «**الأسس والرَّكائز التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد**»، وبين يدي الحديث عن هذه الأسس والركائز لابد من مقدِّمة هي فيما أحسب غاية في الأهمية بين يدي ذكر هذه الأسس، ألا وهي: أنَّ الاعتقاد الحق الذي تكون به نجاة العبد وفلاحه وصلاح أمره وحُسن مآله يوم يلقىٰ ربَّه ﷻ هو الاعتقاد الذي نزل به وحيٌ من الله ﷻ؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، فالاعتقاد الحق هو الذي نزل به وحيٌ من الله، وما عند الناس من العقائد لا مستند لها من الوحي وليس عليها سلطانٌ نازلٌ من الله جل وعلا فهي عقائد باطلة.

ولهذا يمكن أن تُقسَم العقائد إلىٰ قسمين: عقائد نازلة، وعقائد نابتة.

- **والعقائد النَّازلة**: هي التي عليها وحي، ونزل بتقريرها وحيٌ من الله ﷻ وقامت عليها الحجج والبراهين.
- **والعقائد النَّابتة**: هي التي نشأت في الأرض واخترعها الناس، وهي عقائد متنوعة ومتضاربة وكثيرة جدًّا، وسبب كثرتها وتنوُّعها وتضاربها: تنوع مصادرها وتبايُن منابعها؛ فمنها عقائد قامت علىٰ العقول المجرَّدة، وعقائد قامت علىٰ الآراء، وعقائد قامت علىٰ الأذواق، وعقائد قامت علىٰ المنامات والحكايات إلىٰ آخر ذلك، وهي كثيرة جدًّا. وكلُّ عقيدةٍ لم ينزِل بها وحيٌ من الله فهي عقيدةٌ نابتة، وكلُّ عقيدة نابتة فهي عقيدة باطلة.

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عندما جابهوا أقوامهم وردُّوا باطلهم ودحضوا زَيْف ما هم عليه وبيَّنوا ضلال ما يعتقدون سلكوا فيما سلكوه في تقرير هذا الأمر هذا المسلك؛ وهو بيان أن تلك العقائد لم ينزل بها وحيٌ ولم يقم عليها سلطان، وترىٰ هذا في آيات عديدة في القرآن.

منها علىٰ سبيل المثال: قول الله تبارك وتعالىٰ في سورة يوسف في دعوته لصاحبي السجن قال:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف]، وهذا موضع الشاهد قول يوسف عليه السلام لهم: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾؛ فأي عقيدة لم ينزل بها سلطان -أي حجّة وبرهان من الله بوحي نازل من رب العالمين- فهي عقيدة باطلة، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف].

ولهذا الدِّين لله، كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣]، الدِّين لله من جهة أنه هو الذي يشرع من الدِّين ما شاء ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، فالدِّين لله من جهة أنّه ﷻ يشرع من الدّين ما شاء، والدِّين لله من جهة أنّه لا يُتقرب بشيء من الدّين إلّا لله ﷻ، فالدِّين لله ليس لغيره.

ولهذا كلُّ عقيدةٍ أو كل دينٍ لم ينزل به وحي من الله تبارك وتعالىٰ فهو دينٌ باطل وعقيدة باطلة، ولهذا قال لهما يوسف عليه السلام: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ والسلطان هو الحجة، والحجة سميت سلطانًا: لأن لها سلطة علىٰ القلوب وقوة وهيبة وتأثير.

ونظير هذه الآية قول الله ﷻ في سورة النجم: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾، ولهذا نظائر في كتاب الله ﷻ. الشَّاهد: أنَّ العقيدة الصحيحة لابد أن تكون قائمة علىٰ سلطان وحجة وبرهان بوحي نازل من ربِّ العالمين.

ولهذه العقيدة أمارة بينة وعلامة واضحة وضوح الشمس ألا وهي: أن صاحبها يقول: "أعتقد كذا لقول الله تعالىٰ كذا، واعتقد كذا لقول رسول الله ﷺ كذا"، هذه عقيدة قامت علىٰ وحيٍ نازل، وهي طريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة رحمهم الله في تقرير المعتقد؛ يذكرون العقيدة مقرونةً بدليلها، والوحي النازل بها من كتابٍ أو سنة؛ لأنَّ السنة وحي نازل كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم]، فهذه أمارتها وهي علامة واضحة.

ولهذا لا تلتبس كتب العقيدة للسلف بكتب غيرهم من أهل الأهواء؛ لأن أهل الأهواء يبنون عقائدهم علىٰ أمور وأمور مختلفة، منهم من يبني علىٰ العقل، ومنهم من يبني علىٰ الرَّأي، ومنهم من يبني علىٰ الذوق ومنهم.. ومنهم.. إلىٰ غير ذلك، ولهذا قد ترىٰ في بعض كتب العقائد يُقرر عقيدة ثم إذا أراد أن

يستدل لها استدل بالعقل المجرَّد وبالجدل وبقوله: "بما أنه كذا إذن يكون كذا، ولو كان كذا لكان كذا" إلىٰ غير ذلك. أما العقيدة الصحيحة التي عليها وحي نزل بها؛ صاحبُها لا يزيد علىٰ أن يقول: "أعتقد كذا لقول الله تعالىٰ كذا، واعتقد كذا لقول رسول الله ﷺ كذا"، ولهذا قيل: الدِّين قال الله قال رسوله.

ومن جميل ما يُذكر في هذا المقام أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كما جاء في «مجموع فتاواه» في المجلد الثالث لما طُلب منه أن يكتب متنًا في الاعتقاد ذكر في سياق ذلك كلامًا عظيمًا قال: «الاعتقاد ليس لي ولا لمن هو أكبر مني -أي من العلماء- الاعتقاد لله»؛ الاعتقاد هو ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ، الاعتقاد ما جاء في القرآن وما جاء «صحيح البخاري»، وما جاء في «صحيح مسلم»، وما جاء في السنن، و«مسند الإمام أحمد»، الاعتقاد الصحيح هو الذي قام عليه الدليل ودل عليه الوحي من ربِّ العالمين؛ بل لا سبيل إلىٰ معرفة الاعتقاد والتفاصيل المطلوبة في أمور الإيمان إلا بالوحي النَّازل، ويكفي في هذا ما جاء في أواخر سورة الشُّورىٰ حيث قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ هكذا قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ﴾ أي: الوحي ﴿نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، فالوحي نورٌ يهدي به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من شاء من عباده، فيعرف الاعتقاد الحق ويحيىٰ الحياة الطيبة بالإيمان وطاعة الرحمن، ولهذا قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤].

كذلكم ما جاء في «البخاري» في ذكر مجيء وفد عبد القيس إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في «الصحيحين» وقولهم للنبي ﷺ: «إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ»، قال: «**آمركم بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟**» هكذا قال عليه الصلاة والسلام، هذه الكلمة لو قيلت لصاحب فلسفة أو صاحب علم كلام أو قيلت لشخصٍ مشتغلٍ بالأذواق والمواجيد أو غير هؤلاء، فماذا سيكون جوابهم؟ إذا قيل له: أتدري ما الإيمان؟ ماذا سيكون جوابه!! كلٌّ من هؤلاء سيتكلف في الإجابة علىٰ هذا السؤال بحسَب ما تُمليه عليه توجُّهاته ذوقًا أو رأيًا أو عقلًا أو منطقًا أو إلىٰ آخره، ولهذا امتلأت الكتب بالعقائد الباطلة؛ ذاك يذكر اعتقادًا يبنيه علىٰ رأي، وآخر يذكر اعتقادًا يبنيه علىٰ ذوق، وثالث يذكر اعتقادًا يبنيه علىٰ شيءٍ رآه في المنام، إلىٰ غير ذلك أمور كثيرة جدًّا ملئت بها كتب الضلال.

لكن هؤلاء القوم المباركين لما قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟**» قَالُوا:

اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، ماذا تستفيد من قولهم: (اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)؟ أن القوم يدركون أن الإيمان وحيٌ، لا سبيل إلىٰ العلم به من خلال رأي او عقل أو ذوق أو دراية باللغة أو نحو ذلك لا سبيل إلىٰ العلم به إلا بالوحي، قالوا: الله ورسوله أعلم، وكانوا أهل لسان عربي يعرفون معنىٰ الإيمان من حيث اللغة ولا ينقصهم ذكاء، يتحدثوا مثلما يتحدث غيرهم من المتكلفين؛ لكن الله حماهم ووقاهم وهداهم وبصَّرهم ووفقهم للزوم الوحي والتقيُّد بما جاء به، قالوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

ففسَّر لهم النبي عليه الصلاة والسلام الإيمان بالله وشرحه في الحديث بأن ذكر لهم أعمال الدِّين الظاهرة، كما أنَّه في حديث جبريل فسَّر الإيمان بعقائد الدِّين الباطنة «أن تؤمن بالله وملائكته... » إلخ، فالإيمان ومعرفته والعقائد وتفاصيلها هذه لا سبيل إلىٰ العلم بها إلا بالوحي، لا سبيل إلىٰ العلم بها إلا بوحي نازل من الله ﷻ رب العالمين، فالدِّين لله، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، والآيات عديدة.

ولهذا كان أهل السنة والجماعة في هذا الباب وفي عموم أبواب الدين ملازمين لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام معتصمين بالوحي النازل من الله تبارك وتعالىٰ، فكان ذلك سبب نجاتهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. ومن كان مستمسكًا بالوحي لن يضل ولن يزيغ؛ كما قال عليه الصلاة: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ وسنَّتي**».

وفي ضوء ما سبق يمكن أن أشير إلىٰ **جملة من القواعد والأسس التي ارتكز عليها منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد**؛ المنهج الذي فيه العلم والسلامة والحكمة.

فمن هذه الأسس العظيمة في هذا الباب: اعتقادهم أن الرسول ﷺ بيَّن الدين كله أصوله وفروعه، وأنه عليه الصلاة والسلام ما ترك خيرًا إلا دل الأمة عليه ولا شرًّا إلا حذَّرها منه. وأعظم الخير التوحيد، وأعظم الشر الشرك. وهكذا الشأن في جميع الأنبياء كما جاء في «صحيح مسلم» عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»، فالنبي عليه الصلاة والسلام بيَّن الدِّين كلَّه كاملًا في الأصول والفروع، في العقائد والشرائع، ولم يمُت عليه الصلاة والسلام حتىٰ أنزل الله ﷻ في ذلك تنصيصًا وتبيينا قوله سبحانه:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وهذه الآية العظيمة المباركة مفخرة أمة الإسلام وبشارة لعباد الله المؤمنين أمَّة محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ونزلت علىٰ النبيِّ عليه الصلاة والسلام في ساعةٍ مُباركة وفي عشيةٍ مباركة وفي يومٍ مبارك، حتىٰ إنَّ اليهود أدركوا مكانةَ هذه الآية وعَظَمة هذه الآية! قد جاء في الصحيح أن نفرًا منهم جاءوا إلىٰ عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالوا: إنكم معشر المسلمين نزلت عليكم آية لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وما هي؟ قالوا: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، قال: «إني أعلم الساعة التي نزلت فيها، والعشية التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه؛ نزلت علىٰ النبيِّ عليه الصلاة والسلام عشية عرفة بعرفة»، نزلت في أشرف الأيام وأشرف الأوقات وأفضلها، فيها إعلان تمام الدِّين وكماله في عقائده وشرائعه.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ اليوم: يوم عرفة ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، ولهذا بعد يوم عرفة لم ينزل حلال ولا حرام إلىٰ أن توفِّي عليه الصلاة والسلام، عاش بعد يوم عرفة ما يزيد علىٰ الشَّهرين لم ينزل فيها حلال ولا حرام ولم ينزل فيها أحكام؛ لأن الدِّين كمُل، قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، فالدِّين كاملا بأصوله وفروعه قد بيَّنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن بتفصيلٍ دقيق الآداب العالية لقضاء الحاجة وكيف يقضي المسلم حاجته، تجد تفاصيل عجيبة جدًّا في آداب قضاء الحاجة ثبتت عنه عليه الصلاة والسلام، حتىٰ إن أعداء المسلمين أدركوا هذه التفاصيل وعناية النبي ﷺ بها وقالوا -كما جاء في حديث سلمان- «**قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ؟!**» قال سلمان: «أَجَلْ» هذه مفخرة، مفخرة لأمة الإسلام، قال: أجل علَّمنا كذا وعلمنا كذا، «**لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**».

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن آداب قضاء الحاجة بالتَّفصيل وبالتفصيل الدقيق جدًّا الذي يدل علىٰ جمال الدين وكماله وعظمته؛ أيمكن أن يكون بيَّن هذه التفاصيل المتعلقة بآداب قضاء الحاجة ولم يبيِّن أمر الاعتقاد؟! ولم يبيِّن أمر التوحيد! أيمكن ذلك؟ حتىٰ يأتي فيما بعد المتكلفون فمنهم من يأتي باعتقادٍ يبنيه علىٰ رأي! أو اعتقادٍ يبنيه علىٰ عقل! أو اعتقادٍ يبنيه علىٰ ذوق! أو غير ذلك

أيمكن ذلك؟ ولهذا قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: محالٌ أن يكون النبي ﷺ علَّم أمته حتىٰ آداب الخراءة -يعني قضاء الحاجة- ولم يعلِّمهم التوحيد، محال، لا يمكن.

فخلاصة القول: أن الرسول عليه الصلاة والسلام بيَّن الدِّين كله؛ أصوله وفروعه، عقيدةً وشريعة. ما ترك خيرًا إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شرًّا إلا حذرها منه صلوات الله وسلامه عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. هذا الأصل الأول.

الأصل الثاني وهو ينبني علىٰ هذا الأصل ألا وهو: أن الواجب علىٰ كلِّ مسلم أن يكون تعويله واعتمادُه في تقرير الاعتقاد وغير ذلكم من أمور الدِّين علىٰ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، عليهما يعوِّل وإليهما يرجع وعنهما يصدُر وإليهما يردُّ النِّزاع، وفي هذا دلائل منها: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء]، والرد إلىٰ الله: هو الردُّ إلىٰ كتابه، والردُّ إلىٰ الرسول ﷺ: هو الرد إلىٰ سنَّته.

ومن لم يسلك هذا المسلك وينهج هذا المنهج في تقريره للمعتقد ضلَّ سواء السبيل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ**»، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كثيرًا ما يقول: من فارق الدَّليل ضل السَّبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول. كلمة عظيمة جدًّا، أي أنَّ القائل إذا قال قولًا بلا دليل يكون ضالًّا عن السَّبيل الصراط المستقيم، ولا دليل -أي صحيح تقوم به حجّة- إلا بما جاء به الرَّسول عليه الصلاة والسلام. ويقول ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ شارح العقيدة الطحاوية في مقدمته لشرحها: (كيف يرام الوصول إلىٰ علم الأصول بغير ما جاء به الرسول) كيف هذا يكون؟ ما يمكن، كيف يرام الوصول إلىٰ علم الأصول بغير ما جاء به الرسول، هل يمكن للإنسان أن يصل إلىٰ أصول الدين وحقائق الإيمان والعقائد المطلوبة بغير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام؟! هذا ليس بممكن، فمعرفة الدِّين إنما يكون بالرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ثالثًا: ليحذر المسلم في هذا المقام من التقدم بين يدي الله ورسوله بأن يقول علىٰ الله أو في دين الله أو في وحي الله بغير علمٍ من الله ولا برهان؛ فإن هذا من أعظم الإثم وأكبر الجرم ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف]، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات]، ومعنىٰ ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ أي: لا تقولوا حتىٰ يقول ولا تفعلوا حتىٰ يأمر؛ ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ أي: لا في العقائد ولا في الأعمال، لا في الأمور العلمية ولا في الأمور العملية، لا تقولوا حتىٰ يقول، ولا تفعلوا حتىٰ يأمر. هذا حاصل كلام السَّلف رحمهم الله في معنىٰ الآية؛ «لا تقولوا حتىٰ يقول» أي: لا تقولوا في شيءٍ من الأمور العلمية حتىٰ يقول الله ويقول رسوله عليه الصلاة والسلام، «ولا تفعلوا» أيّ شيء من الأعمال والعبادات «حتىٰ يأمر» يأتي الأمر بذلك من الله أو من الرَّسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وفي هذا أيضًا يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء].

الأمر الرابع: أن الواجب في هذا الباب؛ أن يكون فَهْم الإنسان للنصوص -نصوص الكتاب والسنة- في ضوء فَهْم السلف الصالح الذين هم أبرُّ الناس قلوبًا وأزكاهم نفوسا، وهم الذين تلقوا الدين من الرسول عليه الصلاة والسلام وأخذوه عنه وسمعوه منه وبلَّغوه للأمة كما سمعوه وأدَّوه كما حفظوه رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد اختارهم الله ﷻ أصحابًا لنبيه وحملةً لدينه، فرضي عنهم ﷻ ورضوا عنه، وأنزل السكينة عليهم، وألزمهم التقوىٰ ﷻ، وشرح صدورهم لصحبة النبي ونصرة الدين.

فالواجب في فهم الدِّين ومعرفة أموره أن يكون ذلك في ضوء فهم السَّلف، لا أن يأتي إنسانٌ في آخر الزَّمان ويقول: "هم رجال ونحن رجال"، إذا قال هذه الكلمة فهم رجال وهو صاحب ضلال، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠] هذا هو المطلوب؛ أن يتَّبع سبيل السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان؛ فينهج نهجهم ويلزم غرزهم ويسلك سبيلهم، وكلما كان العبد إلىٰ نهجهم وسبيلهم أقرب كان إلىٰ الحق أقرب. ولهذا جاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

الأمر الخامس: أنَّ الواجب علىٰ من أكرمه الله ﷻ بهذه المعرفة أن يستقيم عليها علمًا واعتقادًا

وعملًا؛ أن يستقيم علىٰ ما أكرمه الله ﷻ بمعرفته والعلم به واعتقاده والإيمان بـه إلـىٰ أن يتوفـاه الله ﷻ وهو عنه راض. والله ﷻ يقول: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، الاستقامة تكون كمـا جـاء عـن الله في وحيه وتنزيله سبحانه. ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف:١٣]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

فهذه الاستقامة مطلوبة من العبد بأن يجاهد نفسه علىٰ الثبات علـىٰ الاعتقـاد الصـحيح والأعمـال الزاكية والطاعات المقرِّبة إلىٰ الله ﷻ إلىٰ أن يتوفاه الله ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجـر]، قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

ومن الدعوات العظيمة في هذا الباب: ما جاء عن أبي الـدرداء رضي الله عنه -وقـد رواه ابـن أبـي شـيبة في كتابه «الإيمان» وكذلك في كتابه «المصنَّف»- أنه رضي الله عنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إني اسألك إيمانًا دائمًا وعلمًا نافعًا وهديًا قيِّمًا»، قال معاوية بن قرة راوي هذا الأثر أو هذا الدعاء عـن أبـي الـدرداء: «فـإن مـن الإيمان ما ليس بدائم، وإن من العلم ما ليس بنافع، وإنَّ مـن الهـدي مـا لـيس بقـيِّم»؛ ممَّـا يتطلـب مـن المسلم أن يحسن اللُّجوء إلىٰ الله ﷻ أن يمنَّ عليه بالإيمان الدائم والعلم النـافع والهـدي القـيم، ويُتبـع الدعاء ببذل الاسباب كما قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**».

الأمر السَّادس: الدَّعوة إلىٰ هذا الخير الذي وفقه الله ﷻ للعلم به والعمل، ولابد من الدعوة وإلا فإن الإنسان يكون خاسرًا، قد قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر]، لابد من العناية بهذه الدعوة.

أولًا: حفاظًا علىٰ المكتسبات التي عند العبد مما منَّ الله ﷻ عليه بها.

وثانيًا: لينتشر دين الله ﷻ، فيؤجر هذا الداعي بحسب ما يسَّره الله ﷻ له من دعوة وما منَّ الله عليه به من إبلاغٍ لدين الله، وفي الحديث «**لأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم**»، في الحديث الآخر: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الدَّالُّ عَلَىٰ الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»، والأحاديث في هذا الباب عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه كثيرة.

ونكتفي يومنا هذا بهذا القدر، ونسأل الله ﷻ أن يتقبل منا ومنكم صـالح الأعمـال، وأن يغفـر لنـا

ذنبنا كله؛ دقه وجلَّه، أوله وآخره، سره وعلنه، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنَّه تبارك وتعالىٰ غفورٌ رحيم، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.